الفصل الثامن

تربية المربين

«إن من نتطلع إليهم اليوم لتنوير الأطفال فى المسائل الجنسية، هم ذاتهم فى حاجة إلى الاستنارة لحد كبير».

الحاجة الملحة

الآن وقد زالت المقاومة الرئيسة المناهضة للتربية الجنسية، وكاد الناس يجمعون على الرغبة فيها، فقد بات من المرجح أن تنتشر سريعاً. أما وقد تأخر هذا الانتشار وقتاً طويلاً فقد وجب أن يلقى الترحيب اللائق به وأن ييسر له السبيل، غير أن هذا الانتشار يحمل فى طياته خطراً كامناً. وأكبر الخطر هو أنه إذا عهد بالتربية الجنسية إلى غير المهرة أو غير الأكفاء، فإن الكسب المرجو تحقيقه يكون ضئيلاً نسبياً. والتسليم بهذا يعنى إعطاء حجة لأنصار الهزيمة الذين طنطنوا طويلا بقولهم: «إنكم قد تحققون من الضرر ما يربو على ما قد يأتى من المنفعة». ولكنا لا نقصد إلى مثل هذا. فبينما يرى أولئك القوم ضرورة استبعاد التربية الجنسية لعجز المربين وقصورهم فإننا نؤكد أن ضرورة هذه التربية تحتم القضاء على ذاك العجز وهذا القصور. وعليه فإن الحاجة الملحة تقضى بوضع منهاج بعيد المرمى لتحقيق هذه الغاية. والمناهج البعيدة المرمى لابد أن تتضمن تغييرات جوهرية فى المناهج الحالية فى المدارس والجامعات ومعاهد إعداد المعلمين، ولكننا لا نستطيع أن ننتظر حتى يتم هذا فينبغى أن يعد نظام مناسب لتقديم المعونة العاجلة للآباء والأطباء والمدرسين ورائدى الشباب ورجال الدين والخدمة الاجتماعية فى الوقت الحاضر، وأن يسير هذا جنباً إلى جنب مع تنفيذ تلك التغييرات دون تخلف عنها، إن الزيادة التى نواجهها اليوم فعلا فى التربية الجنسية من حيث المقدار والكم يلزم أن يصحبها تحسن فى النوع والكيف. ومن ثم فإن مسألة تربية المربين هى فى الواقع مسألة أساسية هامة، ينبغى أن يكون لها الاعتبار الأول.

الإعداد الذاتى

يستطيع الكبار أن يعدوا أنفسهم للقيام بمهمة التربية الجنسية إذا أخذوا أنفسهم بشىء من الاستبطان[1] المبنى على التأمل والتفكير؛ ومن هذا أن يفكر المرء فيما يأتى: أكان وحيداً أوعضواً فى أسرة كبيرة؟ هل كانت طفولته سعيدة أو غير سعيدة؟ هل نشأ فى جو من ضيق الأفق أو من المرونة والتسامح؟ وهل كانت طفولته مفعمة بحكايات «على باب الجامع» أو «تحت الشجرة» وما إلى ذلك؟ هل هو متزوج أو أعزب؟ ومهما يكن من أمر الإجابات التى

(١) طريقة لدراسة النفس تقوم على أن يلاحظ المرء نفسه وأن يتأمل ما يجرى فى عقله من أفكار ومشاعر.

سوف يصل إليها عن هذه الأسئلة فإن هذه العوامل تترك أثرها في اتجاهاتنا نحو الجنس، وإن معرفتنا لحقيقة موقفنا دون تصنع أو مداراة سوف تكون لنا عوناً على مقاومة ما فينا من عيوب وتنمية ما لنا من محاسن.

ومن المفيد أيضاً أن تكون لنا خبرة واقعية بالعوامل التى تكون اتجاهات الشباب وأفكاره؛ فما هى المجلات التى يقرؤها أبناؤنا؟ وأى الأفلام يشاهدون؟ لابد من أن نقرأها ونشاهدها نحن أيضاً، حتى ولو لم تكن لنا رغبة خاصة فى قراءتها أو مشاهدتها، ذلك إذا كنا نريد أن نصل فعلا إلى معرفة حقيقية بالشخصيات التى نحاول أن نؤثر فيها. فالمربى الذى لا يكترث بأعمدة المجلات الأسبوعية التى تعالج «المشكلات الشخصية» و «كل عقدة ولها حلال»، والذى يغلق المذياع عندما يبدأ أحد المتكلمين فى إجابة أمثال تلك الأسئلة، إنما يبعد نفسه عن مصدر ثمين للمعلومات الخاصة بالشئون التى تشغل أذهان الشباب الذى يأمل فى تقديم العون له. ورغم عدم تسليمنا بالمستويات السائدة فلابد لنا من أن نكون على معرفة تامة بها.

مؤهلات لا غنى عنها

إن من ينشد النجاح فى قيامه بمهمة التربية الجنسية لابد من أن يتحلى بالكثير من الصفات التى لا تتصل إلا قليلا – أولا تكاد تتصل إطلاقاً – بالمؤهلات الدراسية. وأولى هذه الصفات الهامة أن يكون الشخص منسجماً فى الناحية الجنسية، كما يجب ألا يعوقه ما يصده عن مناقشة الأمور الجنسية، وألا يكون ذا رغبة شديدة فى التحدث عنها. وثمة احتمال كبير فى أن يصل الشخص سعيد الموفق فى حياته الزوجية إلى هذا الانسجام. لذا فهو أقدر من الأعزب فى هذه المهمة إذا تساوت الظروف الأخرى بينهما. ولكن كثيراً ما تحدث مفارقات تجعل بعض الرجال والنساء من غير المتزوجين أصلح كثيراً لهذه المهمة من أقرانهم الذين خبروا الحياة الزوجية سنين عديدة. فمجرد الزواج ليس فيه ضمان للاتجاه الجنسى السليم، كما أن الأبوة قد لا تعد دليلا على الفهم الصحيح للأطفال. ومن الجلى أنه فيما يتعلق بالمسائل الخاصة بالإعداد للزواج لابد أن يكون المعلم ذا خبرة بالزواج؛ ومع ذلك ففى معظم ميادين التربية الجنسية يمكن للشخص الذى لم يتزوج أن يعمل بغير أن يعوقه عن ذلك عقبات كأداء. والواقع أنه فى حالة الأحاديث التى تعطى لجماعة المراهقين – وهم غالباً غير متزوجين – يعتبر المحاضر غير المتزوج أقدر على النفاذ إلى أغوار أفكار مستمعيه وأحاسيسهم. ومن المؤسف حقاً لاعتبارات كثيرة أن معظم المدرسات غير متزوجات، ولكن كل من لمس التربية الجنسية الممتازة التى قامت بها بعضهن لابد أن يوافق على أن الحجة القائلة بأن كل من يعمل فى هذا الميدان لابد أن يكون متزوجاً هى حجة مظهرية تحتمل النفى والإثبات.

وينبغى فى كافة نواحى التربية أن يفهم المدرس تلاميذه فهماً مشرباً بالعطف عليهم، وتكون هذه الحاجة أشد وأقوى فيما يتعلق بالتربية الجنسية. فالرجل الذى غابت حياته

المدرسية عن ذاكرته، والمرأة التى لا تستطيع أن تنفذ إلى أغوار تفكير الفتاة ليس لهـا فـى هـذا العمل مكان. إن النفاق وضيق الأفق الفكرى آفتان أشـد ما تكونـان ضـرراً، أما الأمانـة وسعة الصدر فأمر لازم لا غناء عنه. والقدرة على التخيل ضرورية أيضاً، فهى التـى تساعد الشـخص على أن يكون قادراً على مشاركة الطفل فى مشاعره وخلجات نفسه. وعلى فـهم حـيرة المراهـق وقلقه، مع الاحتفاظ بمقدرة الشخص الراشـد فـى الحكـم علـى الأشياء، وبـالاتزان الوجدانـى للبالغين.

والحساسية المرهفة لها قيمة خاصة، إذ تجعـل المـرء قـادراً علـى تبـين أبسـط مظـاهر عـدم الارتياح فيعيد إلى العقل الذى أخذ به القلق هدوءه وراحته. فإن حركة طفيفة يأتيها ولد برأسه فى حجرة الدراسة، أو نظرة ترتسم على وجه فتاة معبرة عن إجهاد بسيط، كثيراً ما تفصح عما وراءها من تعب يعانى منه الفتى أو الفتاة وتشير إلى الحاجة للاهتمام بأمرها.

وربما يكون الامتناع عن إلقاء الأسئلة، أو على الضد مـن ذلـك يكـون الشـغف بالإكثـار مـن إلقائها، مظهراً يفصح عما يعانيه عقـل الفتـى أو الفتـاة مـن تـأزم يحتـاج إلى مـن يزيحـه عـن كاهلها.

ومن المستحيل أن نضع من القواعد ما يكشف عن هذه العلامات، وليس هنـاك مـن مقيـاس مضبوط للحساسية، ولكن يتوقف على وجودها أو عدمه نجاح التربية الجنسية أو فشلها.

وثمة صفة أخرى يجب أن يتحلى بها المربـى الـذى يضطلـع بالتربيـة الجنسـية، ألا وهـى حضور البديهـة وروح الفكاهـة. فـالبعض يشـعرون أنـه إذا طـرب الأطفـال لـرأى الملايـين مـن الحيوانات المنوية على الشاشة البيضاء تتحرك يميناً ويساراً كمـا يفعـل أبـو ذنيبـة، فلابـد أن تحتوى عقولهم على شىء من القذارة والفحش. ولكن من المؤكد أن التصـرف الحكيـم فـى هـذا الصدد لا يكون بقمعه ما يصدر عنهم من قهقهة فجة مثلا، وإنما بتحويلها – عن طريق القـدوة التى يعطيها المربى ذاته – إلى ضحكة من الأعماق.

وإذا حدث لسوء الحظ أن ألقى أحد الأطفال سـؤالا جدياً فجاء مدعاة للضحـك نتيجـة لعـدم خبرتـه بالأسـاليب اللغويـة، فثمـة مـن يعتـبر هـذا السـؤال امتـهاناً لدعـى التـأدب والحشـمة ويستنكف مسايرة الموقـف بالاسـتجابة للفكاهـة. ورغـم ذلـك فليـس هنـاك أدنـى شـك فـى أن الضحك كثيراً ما يزيل التوتر ويصفـى الجـو لمتابعـة التعليـم. والشـخص الكبـير باشـتراكه فـى الضحك إنما يعبر عن مشاعره الإنسانية الحارة. ومع ذلك فإن للفاكهة – رغم ما يبدو فى ذلـك من غرابة لبعض الناس – مجالا فى التربية الجنسية.

فإذا كان علينا أن نختار واحداً من اثنين أحدهما لا يرتبك فى هذه المواقف ويفهم الأطفال، مخلص، حساس، متفتح العقل واسع الصدر ولكنـه لم يحصّـل مـن المعرفـة العلميـة الفنيـة إلا

أضأل قدر، وبين شخص آخر متخصص فى علم الأحياء ومتعمق فى دراسة علم النفس وعلم الأمراض وعلم الاجتماع وقادر على كتابة الرسائل فى طرق التربية ولكن تعوزه تلك الصفات الإنسانية التى أشرنا إليها، فلسوف نفضل الأول دائماً. وعليه ففى هذا تحذير من الحكم على الأشخاص من حيث صلاحيتهم للتربية الجنسية بما يحملون من شهادات وأوراق، وفيه تشجيع للآلاف من ذوى القلوب الكريمة الذين يرغبون فى تقديم معونتهم فى التربية الجنسية، ولكنهم يشكون فى قدرتهم على ذلك. وقد كتب «هاقلوك أليس» ذات مرة يقول:

«هناك ثلاثة شروط يجب أن تتوفر فيمن يقوم بتعليم فن الصحة الجنسية: فلابد أن يكون ملماً بقدر كاف من الحقائق عن سيكلوجية الجنس، وفسيولوجية الجنس، والأمراض الجنسية. ويجب أن يكون ذا نظرة أخلاقية سليمة واسعة الأفق، وأن تكون مثله العليا سليمة تبتعد عن المطالبة بالمستحيلات. ولابد له أخيراً من أن يحس بمشاعر الشباب إحساساً حقيقياً. وأن يكون ذا بصيرة تنفذ إلى ما تحت ما بهم من حياء، ذا قدرة على فهم مشكلاتهم الشخصية، ماهراً فى التحدث إليهم فى يسر وصراحة وعطف».

ومن المشكوك فيه أن يؤدى المران مهما طال أمده إلى تغير له قيمته فى بعض هذه الصفات الشخصية عند البالغين، بيد أن شرط الحصول على «المعلومات الكافية» ينبغى ألا يكون عسيراً. على أن مدى المعرفة المطلوبة يختلف بطبيعة الحال من فرد لآخر، فما يكفى بالنسبة لفرد قد لا يكفى غيره إطلاقاً، ويكون أكثر كثيراً من اللازم بالنسبة لثالث؛ فالمسألة تتوقف على الظروف وليست بالشىء القاطع الجامد. وتقع فى أيدينا من حين إلى حين بعض القوائم التى تنص على الصفات أو المؤهلات اللازم توافرها فيمن يضطلع بأمر التربية الجنسية، وهى فى العادة قوائم تبعث على الروعة والتوقير. إلا أن تلك الصفات والمؤهلات، إن كانت ضرورة لا محيص عنها فلن تبعث سوى اليأس من تحقيق المهمة المطلوبة، لأننا لن نجد حينئذ من تتوفر فيهم كافة الشروط الواجبة للاضطلاع بهذا العمل. والخطأ الذى يقع فيه من يضعون تلك القوائم هو أنهم لا يدركون أن وصول كل مواطن إلى مرتبة التخصص فى علوم الأحياء والطب والنفس والاجتماع والأمراض إنما هو مجرد حلم لا يتأتى تحقيقه، وأن اقتراح هذه القوائم – رغم حاجتنا إليها كمثل أعلى – إنما ينفر من القراء عدداً يزيد على من يستحثهم على الإقدام ويحفزهم على العمل فى هذا الميدان.

الآباء والأمهات

إن للآباء والأمهات دوراً أساسياً فى موضوع التربية الجنسية، لذا كان إعدادهم للقيام بدورهم فى هذا المجال على الوجه الأكمل أمراً من الأهمية بمكان، فما أيسر مهمة المدرس وما أكثر إنتاجه إذا أتى التلاميذ من بيوت لم يغفل فيها الآباء والأمهات عن أداء واجبهم،

وما أكبر ثقة الطبيب وما أعظم نجاحه إذا ما تناول بالإشارة والتوجيه فى موضوع الزواج شباباً قد تلقى التربية الجنسية تدريجاً منذ الطفولة الأولى. ولعل تشارلز ديكنز قد أحسن عندما كتب يقول:

«نحن نذهب أيها السيد السند، إلى أنه قد يكون من الخير أن نبدأ بالتزامات الأسرة، إذ قد لا يوجد من الواجبات الأخرى ما يمكن أن يحل محل هذه الالتزامات إذا أغفلت».

هذا هو محور المشكلة: – إنه تنشئة جيل من الآباء والأمهات لهم من المقدرة والرغبة ما يكفى لوضع الأسس التى يستطيع أن يشيد المختصون فوقها ما ينبغى من بناء.

من المعقول أن نرجو فى أطفالنا الذين أجيب عن أسئلتهم فى البيت إجابات مناسبة، والذين درسوا فى المدرسة علم الأحياء ودرسوا معه التناسل فى الإنسان، والذين اختلطوا بزميلاتهم وزملائهم فى السباحة والمباريات والرحلات، وأتيحت لهم فى أثناء الخطبة فرصة الإعداد للزواج، نحن نرجو فى أولئك الأطفال وهم آباء الغد وأمهات المستقبل أن يقوموا بنصيبهم من التربية الجنسية لأطفالهم. لقد فطنت إلى ذلك فتاة من لندن لم تتجاوز الثالثة عشرة من عمرها وقد كتبت تقول:

«لو عرف الأطفال ما يتعلق بهذا الموضوع منذ نعومة أظفارهم فإنهم لن يستنكفوا عندما يحين دورهم من إخبار أطفالهم بما يعرفونه».

ونحن إذ نرجو تحقيق ذلك فى المستقبل نتساءل عن دور الوالدين الآن؟ إن التفاؤل على غير أساس أشد سوءاً من عدم النفع، فلابد من أن ندرك أن كثيراً من الآباء فى الوقت الحاضر يبلغ جهلهم بالحقائق الجنسية حداً يعجزهم عن شرحها لأطفالهم، ويبلغ بهم التواكل والكسل فى نفس الوقت حداً لا يرجى معه أن يعالجوا هذا الجهل. هذا إلى أن اتجاهاتهم الوجدانية تبلغ درجة شديدة من التعقيد تقعد بهم عن الإتيان بعمل له أية قيمة، حتى ولو كانوا على إلمام بما تحتويه موسوعات بأكملها عن الحقائق الجنسية. ولكن هذا لا يسرى على جميع الآباء والأمهات، فكثيرون منهم لهم إلمام طيب بهذه الحقائق، وكثيرون يتلهفون إلى الوقوف على ما ينبغى من المعرفة؛ ومنهم كثيرون ممن يتلهفون إلى الوصول إلى ذلك. فالأمر، والحال على هذا المنوال، يدعو إلى التفاؤل العريض.

وهنا مجال واسع للتعاون بين المدرسة والمنزل. فحيث تقوم المدرسة بمهمة التربية الجنسية، سواء اضطلع بها أعضاء هيئة التدريس أو المتخصصون الذين يزورون المدرسة لهذا الغرض، فلابد من تنظيم اجتماعات يحضرها الآباء والأمهات، لا لمجرد استئذانهم فى قيام المدرسة بمهمتها، بل لكى تعرض عليهم الغاية التى تهدف إليها المدرسة ويطلب إليهم تقديم يد المعونة لتحقيقها. ولسوف يرحب كثير من الآباء – وكلمة الآباء هنا يقصد بها الآباء والأمهات

– بالفرصة التى تتيح لهم تلقى المعلومات ومناقشة المدرسين فى التربية الجنسية الخاصة بأطفالهم. وربما تلقى الكثيرون منهم أول دروسهم فى التربية الجنسية وتعرفوا على الحد الأدنى من المصطلحات الجنسية لأول مرة فى تلك الاجتماعات وإن كانوا لا يصرحون جميعاً بهذا. ولسوف يستفيد المدرس أيضا من هذا، إذ ينبغى ألا ينسى أن التربية الجنسية ليست شيئاً منفصلا ومستقلا عن التربية الصحية والتهذيب الخلقى عامة، وإنما هى جانب خاص من ذلك، وبالنسبة لهذا الجانب يعتبر تفاهم المدرسة والمنزل والتعاون المشترك بينهما إزاءه ذا أهمية خاصة. ومثل هذا بطبيعة الحال أيضاً عن التعاون بين البيت وأندية الشباب وبين هذه والمدرسة.

ولن يتمكن الآباء فى أغلب الأحيان من متابعة منهج دراسة فى التربية الجنسية، وذلك لأن ظروفنا الاجتماعية ونظامنا التعليمى لا يبيح لغالبيتهم العظمى الوقت المناسب ولا الحماية أو النشاط الذهنى الذى يمكنهم من دراسة هذه الناحية دراسة واسعة. ولكن فئة منهم سوف تكون راغبة فى هذا، وهذه الفئة هى التى أغفل شأنها إغفالا كبيراً فيما مضى. ويمكن تنظيم بعض المحاضرات أو الأحاديث لآباء الأطفال الذين يلتحقون حديثا بمدارس الحضانة أو رياض الأطفال وعند انتقال أطفالهم إلى التعليم الثانوى كذلك. كما يمكن عمل برامج أكثر تنظيما للحوامل أو المرضعات من الأمهات يتم تنفيذها فى المستشفيات أو مراكز رعاية الطفولة. ويمكن أن يعالج الموضوع كذلك فى المعاهد الريفية والمراكز الاجتماعية والجمعيات التعاونية وما شاكلها. نحن لا ننكر أن تنفيذ هذا العمل سوف يستغرق وقتاً ويتطلب مالاً، ولكننا إذا أجدنا التنظيم فسوف نتغلب على كل شىء.

المدرسون

ونحن نتوقع بطبيعة الحال أن يكون إعداد المدرسين لهذا الغرض أتم وأشمل. ويتطلب هذا الإعداد أن يصبح الشطر الأكبر من المعلومات الجنسية الأساسية جزءاً من البرنامج العادى لإعداد المدرسين غير المتخصصين فى علوم الحياة. فجميع المدرسين بحاجة إلى فهم النمو الجثمانى والفكرى والوجدانى للطفل، ويمكن أن ينبنى هذا على فهم المبادئ الأساسية لعلم وظائف الأعضاء وعلم النفس.

وتتضمن مثل هذه البرامج دراسة الغدد (الصماء) وإفرازاتها وتأثير هذه الإفرازات فى النمو وبخاصة فى مرحلة المراهقة. وهنا ترتبط الوظائف الجثمانية بالحالة الوجدانية، بينما ترتبط الحالة الوجدانية بالتفكير والجهاز العصبى. وحيث أننا بشر ولسنا بمخلوقات تحكمنا انفعالاتنا المنعكسة حكماً مطلقاً، بل إن لنا القدرة على التعلم وعلى ضبط النفس فإن لمعرفة وظائف الأعضاء أثرها فى علم النفس التربوى وفى القيم الخلقية والاتجاهات الاجتماعية. فإذا ما قام الاعتراض على مثل هذه الدراسة لأنها تخترق الحجب التى تفصل بين العلوم الفردية

من جهة وبين العلوم والآداب من جهة أخرى، فبئست تلك الحواجز التقليدية التى ينبغى تحطيمها والتخلص منها.

كذلك مما يفيد كثيراً أن يتفهم المدرسون السلوك الجنسى والمشكلات الجنسية للأطفال فى الأعمار المختلفة، وأن يدرسوا بمزيد من التفصيل خصائص المرحلة التى تضم التلاميذ الذين سيقومون بتعليمهم. ولما كانت الفائدة المرجوة من التربية الجنسية بالمدرسة مرهونة بعدم إغفال البيت للتربية الجنسية، فينبغى أن يفهم المدرسون شيئاً عن الحياة المنزلية وعن تنشئة الطفل فى طفولته الأولى. فالمدرسون الذين يتزودون بهذا الفهم يكونون أكثر استعداداً لتقدير أهمية التعاون بين المدرسة والمنزل وأكثر صلاحية لبذل النصائح للوالدين.

وإلى جانب ذلك فالمدرسون جميعاً بحاجة إلى التزود ببعض المعلومات الأساسية الخاصة، التى سوف تمكنهم من الإجابة المناسبة عن الأسئلة التى تثار فى أثناء قيامهم بالتدريس. وهم لا يستطيعون أن يجيبوا عن هذه الأسئلة ما لم يكن لهم إلمام طيب بالحقائق الجنسية والتناسلية الرئيسية. ومما يدعو إلى الدهشة حقاً أن كثيراً من المتعلمين ذوى الثقافة الواسعة لا علم لهم بهذه الحقائق، ولا يعرفون الألفاظ الاصطلاحية اللازمة للتعبير عن إجاباتهم فى بساطة ودقة ووضوح، إجابة لا تتغلغل فى إغراب العلم العويص، ولا يشوبها ابتذال السوقة والنافلة. وهذا يحتم على جميع المدرسين الذين لا يزالون فى مرحلة الإعداد المهنى – سواء أكانوا سيقومون بتدريس خواص الكائنات الحية أو فقه اللغات الميتة – أن يدرسوا برنامجاً فى علم الحياة الإنسانى والاجتماعى.

وإذا كان فى استطاعة القلة من المدرسين المتازين المطبوعين أن يقوموا بمهمة التربية الجنسية من غير أن يقوموا ببعض الدراسات المتعلقة بطرق تدريسها، فلا يجوز أن نقيس على ذلك ونترك سائر المدرسين حيارى دون أن يدربوا على هذه المهمة. وهذا أمر ينسحب على التربية بوجه عام ولا ينحصر فى هذه الناحية وحدها. لذلك يتحتم على المدرسين، فى دور الإعداد، أن يدرسوا الطرق المختلفة التى قد تهيئ من كافة مواد المنهج المدرسى مجالا صالحاً للتربية الجنسية، كما ينبغى أن يدرسوا أهمية ضروب النشاط المدرسى المختلفة فى تكوين الأخلاق، وتأثير النظام المدرسى والجو المدرسى العام فى دعم العادات والاتجاهات الجنسية السليمة. وإذا اعتراض على ذلك بأنه لا يوجد من الوقت ما يكفى لدراسة كل هذا فبئست الفترة التى يقضيها المدرسون فى الإعداد لمهنتهم، التى مازال ينظر إليها – رغم قصرها – على أنها فترة كافية لإعداد المدرسين.

ويقضى نظام إعداد المعلمين فى بعض البلاد – غير بريطانيا – بأن ينتقل القائمون على تربية الأطفال من المدرسة رأساً إلى مدرسة المعلمين حيث يقضون عامين منعزلين، وهى فترة أقصر مما ينبغى لا يكفى البتة لإعداد المعلم، ثم يعتبرون بعد ذلك مؤهلين لمهنة التدريس! بل

والأدهى من ذلك أن يسمح لخريجي الجامعة بشغل وظائف التدريس دون أى إعداد على الإطلاق. فالأمر والحالة هذه لا يكفى فيه إعادة النظر فى برامج الجامعات وبرامج إعداد المعلمين، ولا يقتصر على ضرورة بعث الحيوية والنشاط فى مدارس المعلمين بالحد من عزلتها وجمود مناهجها، بل يحتم أن تضاعف على الأقل فترة إعداد المعلمين؛ لأنه إذا كان الطبيب الذى يعتنى بأجسام أطفالنا يحتاج فى إعداده إلى خمس سنوات أو ست كى يصبح مؤهلا لمزاولة مهنته تلك، فلا ريب أن سنتين لا تكفيان لإعداد المدرسين الذين يعهد إليهم بالعناية بعقول أولئك الأطفال. إن مرحلة الدراسة مهمة فى حياة الأفراد، ففى المدارس يبنى مستقبل الأمة، لذا ينبغى ألا يرضى المهندسون الذين يباشرون هذا البناء – وهم المدرسون – بفترة قصيرة يتدربون فيها على خدمتهم، فترة لا تؤهلهم لإصلاح ثلمة أو خلل بسيط فى صرح ذلك البناء.

ولكن مثل هذا البرنامج الواسع الذى صورناه لإعداد المعلمين مازال للأسف فكرة أو مثلاً ننشده، فما علينا فى هذه الظروف إلا أن نعمل قدر استطاعتنا ونبذل ما فى طاقتنا إلى أن يتحقق ذلك البرنامج.

إننا نلجأ فى الوقت الحاضر إلى كثير من الشبان الذين لم يبلغوا سن الرشد بعد فنعينهم مدرسين بمدارسنا، بعد أن نعدهم خلال عامين أو ثلاثة أعوام بعد انتهائهم من الدراسة الثانوية، فمن الطبيعى فى معظم الأحوال ألا يكون هؤلاء قد بلغ عند ذلك مستوى كافياً من النضج يمكنهم من القيام بمهمة التربية الجنسية بطريقة صحيحة سديدة. فلعل خير ما تصنعه مدارس المعلمين إزاء هذه الظروف مادامت فترة إعداد المعلمين قصيرة إلى هذا الحد، أن تحاول تحرير طلبتها أنفسهم مما لديهم من المشكلات الجنسية.

ولسوف نجد بين أولئك الشبان الذين نعدهم للمهنة من يجهل كثيراً من الحقائق الجنسية الأولية جهلاً تاماً، بل سوف نجد بينهم من تمكنت منهم الاتجاهات الجنسية المنحرفة. وسيبقى الحال كذلك حتى يقوم الآباء والأمهات جميعاً والمدارس كافة بأداء مهمتهم فى التربية الجنسية على الوجه الصحيح، فإذا ما تخرج أولئك الشبان وقد تحرروا من مشكلاتهم الجنسية، يكون ثمة أمل فى أن يستفيدوا من البرامج التى تعطى لهم مستقبلاً فى التربية الجنسية. وقد أدرك الميالون إلى الإصلاح والتقدم من القائمين بالإشراف على شئون التعليم ما لهذه البرامج من أهمية أساسية وخاصة بعد تخرج هذه الأعداد الكبيرة من المعلمين فى السنوات الأخيرة. وواضح أنه يحسن ببعض المدرسين المختصين أن ينقطعوا عن المدرسة فترة من العام الدراسى أو طوال عام دراسى بأكمله كى يتفرغوا للدراسة الجديدة المركزة. ولكن من الواضح أيضاً أنه يستحيل تحقيق هذا الأمر فى الظروف الحالية على الإطلاق. وأما الوسيلة التى تلى هذه فى الإفضلية فهى أن تنظم برامج خاصة للعطلات المدرسية تستمر حوالى

الأسبوعين يمكن أن يلم فيها المدرسون بقدر وافر من المعلومات المطلوبة، ومع ذلك فقد لا يتيسر هذا أيضاً لكافة المدرسين. ومهما كان الأمر فلن يعجز المسئولون فى المدارس – إلا فى القليل النادر – عن تنظيم سلسلة من ست أو ثمانى محاضرات مثلا فى مادة التربية الجنسية وطرائقها، ويحضرها المعلمون خلال العام الدراسى. فقد دلت التجربة على أنه حتى فى هذه الساعات المحدودة يمكن تحقيق نفع كبير.

فالمدرسون الذين حضروا مثل هذه المحاضرات يجمعون إجماعاً تاماً على تقدير فائدتها، لا لما اكتسبوه فحسب من المعلومات التى تحتويها المحاضرات، بل لما أفادوه فوق ذلك من تبادل وجهات الرأى، واستعراض خبراتهم وتجاربهم.

المدرسون المتخصصون

أما المدرسون المتخصصون كمدرسى علم الأحياء فلديهم فرص أكبر للتربية الجنسية، لذا فهم يحتاجون بطبيعة الحال إلى إعداد أتم وأكمل، ولسوف يتم الشطر الأكبر من هذا التدريب فى فترة الإعداد المهنى عندما تنظم الجامعات ومدارس المعلمين أمورها من هذه الناحية. أما الآن فالبرامج التى تعطى عن علم الأحياء فى الجامعات كلها ذات طابع تقليدى ولا تصلح إلاّ لتدريب طلبة الأبحاث فى علم الأحياء. ومما يدعو إلى الأسف أن مدارس المعلمين تأخذ بنفس تلك البرامج ولكن على مستوى أبسط. ومما يدعو إلى العجب أن خريجى هذه المعاهد يكونون فى الغالب على علم واف بوارثة زهرة البريمولا وذبابة الفاكهة، ولكنهم يعرفون القليل أو لا يكادون يعرفون شيئاً على الإطلاق عن الجنس البشرى، كما أنهم يعرفون جانباً لا بأس به عن التناسل فى الكائنات الدنيئة القارضة، وعن توزيع الكائنات وحياتها فى المستنقعات الملحة معرفة تزيد عن مجرد الإلمام العام بها، فى حين أنهم يجهلون كل ما يتعلق بالحياة الجنسية الخاصة ببنى الإنسان وبحياة مجتمعاتهم جهلا يكاد يكون تاماً، اللهم إلا إذا قاموا من تلقاء أنفسهم بتثقيف أنفسهم فى تلك الناحية وذلك عن طريق الاستماع إلى بعض المحاضرات أو بالدراسة الخاصة. غير أن نفراً من طلاب الجامعات ومدارس المعلمين قد استناروا فى هذه النواحى بحيث أصبح فى مقدورهم أن يُدخلوا البرامج التى تمس الحاجة إليها، وأن يصلحوا من المناهج الحالية تلك النواحى التى طالت بها الحاجة إلى الإصلاح.

وإننا لنرجو فى المستقبل أن يدرس مدرسو علم الأحياء برامج لا تكترث بموضوع تعرق الأوراق بقدر ما تعنى بموضوعات: التناسل، والعناية بالنسل، وحياة الأسرة، والتعاون الاجتماعى، والكائنات الحية على نطاق واسع، بحيث لا تستبعد منها دراسة الإنسان. وعسى أن تتضمن برامج دراساتهم أيضاً العلاقة بين الجنس والتناسل (وهما ليسا بشىء واحد على الإطلاق) وثنائية الجنس والانفعالات الجنسية، والغزل والتزاوج، ومنشأ المجتمعات

الإنسانية، والعرف والتقاليد المتصلة بالزواج عندها، والقيود الاجتماعية للنزعات الجنسية. وأن تشتمل برامجهم أيضاً على عمل الغدد ذات الإفراز الداخلى وتأثير إفرازاتها على النحو الجثمانى والوجدانى، وأن يكونوا على معرفة بالارتباط بين العوامل الفسيولوجية والنفسية للجنس. وهكذا فإن إلمامهم بمعلومات بين العوامل الفسيولوجية والنفسية للجنس. وهكذا فإن إلمامهم بمعلومات المتخصصين، بالإضافة إلى الإعداد المهنى الذى ينبغى أن يظفر به كافة المدرسين، سوف يجعل دورهم فى التربية الجنسية بنوع خاص سهلاً ميسوراً.

قد نجد العدد الكافى من مثل هؤلاء المدرسين فى المستقبل ولكنهم قلة فى الوقت الحاضر، فماذا يمكننا أن نعمل الآن إزاء هذه الحال؟ إننا نستطيع رغماً عن هذا أن نعمل الشىء الكثير، فمعظم مدرسى علم الأحياء اليوم لديهم أساس من المعرفة يمكنهم من الإلمام بالحقائق الضرورية الأخرى على وجه السرعة، كما أن للكثيرين منهم الشخصية المناسبة. فأول ما تدعو إليه الضرورة فى مثل هذه الحالات هو سلسلة أو أكثر من المحاضرات يلقيها المتخصصون وتتناول الجانب الفسيولوجى والنفسى من ناحية – وهو ما لا يدرس عادة ضمن مناهج الجامعات أو مدارس المعلمين – وتتناول من الناحية الأخرى أساليب التربية الجنسية فى المدارس. ونحن لا ندعى أن مثل هذه المحاضرات سوف تجعل ممن استمع من المدرسين مربين من الطراز الأول، فقد مضى عهد السحر وانقضى، ولكننا نجزم بأن بعض هؤلاء سيكونون أهلاً لتناول الموضوع مع تلاميذهم، أما الآخرون فسوف يستفيدون منه فائدة شخصية على أقل تقدير.

وحتى إذا لم يوجد مدرس متخصص فى علم الأحياء فى المدرسة، وهذا أمر ينطبق على حالة كثير من المدارس – وخاصة المدارس الابتدائية ومدارس الصنائع إلخ – فمازال فى الإمكان رغم ذلك عمل الشىء الكثير أيضاً. نحن لا ننكر أنه يستحيل أن يتكافأ البرنامج القصير من المحاضرات مع البرنامج الطويل أو أن يكون بديلاً له، ومع ذلك فإن المدرس الطلعة، والذى ينشد إكمال المحاضرات عن طريق القراءة الخاصة يستفيد فائدة كبيرة من أى برنامج أحسن إعداده فى مبادئ علم الأحياء. فمن الممكن بغير الدراسة العميقة التى تستغرق عدة سنوات فى علم الأحياء أن تعطى دروس بسيطة فى فسيولوجيا جسم الإنسان داخل الفصل. وفى هذه الدروس يمكن أن يوضع موضوعا الجنس والتناسل فى مكانيهما المناسبين.

وعلى المتخصصين فى غير علم الأحياء واجب الاضطلاع بمسئوليتهم الخاصة فى هذا الشأن أيضاً. ومهما تكن المادة التى يدرسونها، فمن المفيد لهم أن يدرسوا الطرق التى تمكنهم من استغلال هذه المواد فى ميدان التربية الجنسية. وقد تفيد فى ذلك بعض محاضرات، ولكن الأجدى من ذلك أن يجتمع المدرسون المختصون بكل مادة من المواد فى حلقة صغيرة خاصة للدراسة والتنقيب فى المشكلات المتعلقة بمادتهم، وأن يجتمعوا فيما بعد بالحلقات الأخرى للمقارنة بين الملاحظات المختلفة التى عنت لهم ولتنظيم طريقة التعاون فيما بينهم.

النظار

يذهب الكثيرون إلى أن الناظر هو أنسب شخص للقيام بالتربية الجنسية (والمؤلف إذ يرى أن الذين يدعون لهذا الرأى إنما هم أولئك الذين قد وصلوا إلى شرف هذا المنصب، يرجو ألا يكون قد خرج بذلك عن أصول اللياقة) ومن المؤكد أنهم يذهبون هذا المذهب لأنهم يشعرون بأن الموضوع الجنسى موضوع خاص للغاية من ناحية ما، وأنه يختلف عن سائر نواحى الحياة، وأن التربية الجنسية شىء منفصل عن سائر جوانب التربية. لذلك يعمد هؤلاء النظار فى مناسبات معينة – وفى أغلب الأحيان فى آخر أسبوع من حياة التلاميذ المدرسية – إلى جمع التلاميذ معاً أو دعوتهم فرادى إلى حجرة الناظر ليتلقوا معلومات عن «حقائق الحياة». فيتظاهر التلاميذ بدافع الأدب بأنها معلومات جديدة عليهم فعلا، ويالها من معلومات! ونحن إذا تركنا جانباً مسألة كون بعض النظار لا يلمون بالمعلومات الضرورية لهذا الغرض، وأن بعضهم لا يحوز الشخصية المناسبة للقيام بهذه المهمة، فإن هذه الطريقة فى ذاتها معيبة جداً لما ينجم عن عزل موضوع الجنس على هذا النحو وعن الاهتمام الخاص الذى يحاط به دون مبرر.

إن مجرد قيام الناظر بنفسه بهذا العمل قمين بأن يولد جواً خاصاً مثيراً وهو أمر ضار بالتعليم الجنسى السليم. غير أن الأمر جد مختلف إذا كان الناظر هو الذى يقوم بتدريس علم الأحياء أو أية مادة أخرى يمكن أن تستخدم كمجال صالح للتربية الجنسية، فلابد له بطبيعة الحال من أن يقوم بدوره فى هذا الشأن. وهو إذ يفعل ذلك إنما يقوم بعمله كمدرس للفصل لا بصفته ناظراً للمدرسة.

ليس معنى هذا أنه ليس للنظار دور خاص فى التربية الجنسية، بل إن لهم دورهم وهو دور على غاية من الأهمية. وحسبنا أن لهم الحق فى دعوة المدرسين إلى الاجتماع، وهو أمر لازم جداً لتبادل وجهات النظر ومختلف أنواع الخبرة، ولإعداد خطة منسقة محكمة للتربية الجنسية فى المدرسة.ويكفى أيضاً ما للناظر من حق دعوة آباء التلاميذ لشرح ما تعمله المدرسة لهم، ولتنظيم وسائل التعاون بين المدرسة والمنزل. كما أن النظار هم الذين يستطيعون أن يأخذوا على عاتقهم مهمة التأثير فى المسئولين من الرؤساء المشرفين على التعليم وحفزهم للعمل. وهم مسئولون عن تنفيذ ما يشير به رجال التربية التقدميين. وفوق هذا كله فهم العامل الرئيسى فى تكييف الجو المدرسى. وجدير بنظار المدارس أن يعقدوا فيما بينهم اجتماعات دورية يستعرضون فيها الخبرات ويتبادلون المقترحات ويرسمون خطط العمل.

رواد الشباب

ينقسم رواد الشباب بالنسبة للتربية الجنسية – مثلهم مثل المدرسين – إلى فئتين. وهم جميعا بلا استثناء بحاجة إلى الحصول على قدر مناسب من المعرفة بموضوع الجنس من

الناحيتين الفسيولوجية والنفسية مع زيادة الاهتمام بخصائص المراهقة. فبغير هذه المعرفة يكاد الأمل ينعدم فى قدرتهم على أن يعالجوا – علاجاً سديداً مشرباً بالعطف – ما قد يحدث فى نواديهم من سلوك جنسى غير سليم ومن اضطرابات شائعة قد ترجع فى أساسها إلى الأسباب الجنسية. كما ينبغى أن يعرفوا الإخصائيين ليحولوا إليهم الحالات الخاصة التى يستعصى عليهم علاجها. وليس من العسير عليهم الوصول إلى ذلك الفهم أو الحصول على تلك المعرفة. فمن الممكن بعد أربعة أو خمسة اجتماعات أو محاضرات مثلاً أن يلموا بقدر كبير من المعلومات عن هذا الموضوع، وإذا ما وجهوا بجانب المحاضرات إلى بعض القراءات الإضافية لأصبحت الفائدة أتم وأكمل.

إلا أن بعض رواد الشباب بما لهم من معرفة وخبرة وشخصية سوف يكونون أهلا للأضلاع بمهمة إرشاد الشباب، بعد قدر من الإعداد الأوفى. وإنه لمن العبث فى معظم الأحوال أن نتخيل أنهم يستطيعون ذلك دون إعداد سابق. فليس الإلمام بالمعلومات اللازمة لإعطاء ثلاثة أو أربعة أحاديث بالأمر العسير، وإنما الصعوبة الحقة هى فيما يتبع تلك الأحاديث من أسئلة.

وواجب على كل من يطمح منهم إلى الاضطلاع بهذه المهمة أن يكون على إلمام بأساس واف من المعلومات فى علم الأحياء أو أن يكون على استعداد للقيام بدراسة جدية فى هذا العلم. وعلى هؤلاء الرواد أن يقابلوا الإخصائيين كى يتلقوا منهم المقترحات العامة التى تهمهم جميعاً، وكى يسترشدوا بهم فى معرفة الطرق المختلفة لعرض الموضوع، كما ينبغى أن يستمعوا إلى ذوى الخبرة الذين يلقون المحاضرات العامة فى هذه الموضوعات. ولسوف يكونون بعد ذلك بحاجة إلى توجيه مناسب فيما يقومون به من قراءات كما سيكونون بحاجة إلى من يقوم بنقد جهودهم التعليمية الأولى نقداً إنشائياً، أى نقداً سديداً يوجههم توجيهاً حسناً. قد يبدو هذا كله أمراً بالغ الصعوبة، ومع ذلك فما من رائد يدرك أهمية هذه المهمة إلا ويدرك أهمية هذه التدابير، ولا ريب فى أن جودة الأداء تتطلب حسن الإعداد.

الإخصائيون الاجتماعيون

وثمة نفر من رواد الشباب، لا يطلق عليهم هذا الاسم ولكنهم فى حكم الرواد، أولئك هم الإخصائيون الاجتماعيون والصناعيون. فبينما يقضى الشباب فى نواديهم بضع ساعات فى كل أسبوع، إذا بهم يقضون فى أماكن العمل ساعات برمتها كل يوم. وتبعاً لذلك فإن المسئولية الكبرى فى المصانع تقع على عاتق الإخصائيين الاجتماعيين فى المصانع حيث توجد فرصتهم الكبرى أيضاً.

إن الاعتبارات العامة التى تحتم فهم مشكلات الشباب وإظهار روح العطف عليهم تسرى على الوالد كما تسرى على المدرس وعلى الرائد فى النادى كذلك. غير أن هناك بعض

الاعتبارات الخاصة التى قد تبدو بسيطة تافهة ولكنها بالغة الأهمية من وجهة نظر التربية الجنسية، منها ضرورة تحسين ظروف العمل وتنظيم المقصف والنشاط الاجتماعى والثقافى تنظيما حسناً، ثم عملية تنظيف المباول والمراحيض وإزالة كل أثر لما يكون فيها من قاذورات وأوساخ إذ قد تشجع هذه الأشياء على كتابة العبارات البذيئة على جدران دورات المياه، ومنها أيضاً تنظيم المناقشات مع الإخصائيين الراشدين ليبذلوا معونتهم لزملائهم الأحدث سناً وخبرة. وكل هذه الأمور قد تكون ذات أثر حسن فعال، وهى أمور ميسورة فى متناول الإخصائى الاجتماعى الصناعى. ومع ذلك فهى جانب من جوانب التربية الجنسية أغفل أمره طويلا، وهو جانب لا يحتاج إلى كثير من نصائح الإخصائيين بقدر ما يحتم على أولئك الذين يعرفون الظروف الصناعية ضرورة توسيع أفق علمهم عن طريق المناقشات وتبادل الخبرات.

رجال الدين

يجمل بنا عند الكلام على رجال الدين أن نفرق بين وظائفهم الدينية البحتة وبين وظائفهم وخدماتهم الاجتماعية، ولو أن هذه التفريق سطحى فى الواقع إذ لا يمكن الفصل ما بين أفعال الإنسان وعقيدته تمام الفصل. ومادام رجال الدين يشرفون على كثير من أندية الشباب وجماعاتهم، فإن حاجة هؤلاء إلى الإعداد تصبح مثل حاجة رواد الشباب والإخصائيين الاجتماعيين الآخرين سواء بسواء. هذا إلى أن كثيراً من الشباب يعرضون أخص مشاكلهم على رجل الدين، ومن ثم وجب عليه أن يعد نفسه الإعداد الذى يمكنه من تناول هذه المشكلات وعلاجها بطريقة مجدية مثمرة.

ولدى رجال الدين فرصة أخرى عظيمة، تلك هى فرصى القيام بمراسيم الزواج، فهم لذلك مسئولون عن التحقق مما إذا كان الزوجان يدركان حقيقة ما هما مقدمان عليه. وقد اعتاد كثير من رجال الدين أن يعطوا الخطيبين معلومات فسيولوجية بالإضافة إلى التوجيه الروحى، فحبذا لو عم مثل هذا التقليد.

وثمة مسألة أخرى تعتبر غم بساطتها على أعظم جانب من الأهمية، تلك هى الفرصة التى تتاح لرجال الدين للاضلاع بمهمة التربية الجنسية فى سياق دروس الدين فى المدارس الابتدائية أو الثانوية وما إليها.

الأطباء

إن الهالة الغامضة التى تحيط بمن يشتغلون بالطب وتتصل بلقب «الدكتور» – الذى تعود الناس خطأ خلعه عليهم – توحى فى بعض الأحيان بأن كل طبيب صالح بالتبعية للقيام بمهمة التربية الجنسية. غير أن هذه النتيجة قد تبعد عن الحقيقة فى كثير من الأحيان، يؤكد

لنا ذلك تقرير أصدرته وزارة الصحة العمومية بالولايات المتحدة الأمريكية وفيه قدر كبير من الصدق، وقد جاء فيه:

«إن ما كانت تجرى به العادة من دعوة الطبيب كى يتحدث إلى البنين والبنات لهو أمر يستدعى كثيراً من الشك وإنعام النظر.. ذلك لأن أولئك الذين أحسن إعدادهم فى علوم الأحياء والفسيولوجيا والنفس والاجتماع هم أكثر قدرة بكثير من الطبيب، إلا إذا كان هذا من ذوى المقدرة والشخصية النادرة».

إن دور الطبيب فى التربية الجنسية - فيما عدا الطبيب النادر الذى يكون بطبعه معلماً مجدياً، وينبغى عندئذ أن ينظر إليه على أنه مرب لا على أنه طبيب - قد يكون دوراً محدوداً ولكنه مع ذلك بالغ الأهمية؛ فمهمته لا تتجاوز إعطاء المعلومات الأولية عن الأمراض التناسلية، وغيرها من مشكلات الأمراض الجنسية الأخرى، هذا إلى أن شطراً كبيراً من مهمة الإعداد للزواج فيما يختص بالاتصال الجنسى ووسائل منع الحمل وما إلى ذلك هى فى طبيعتها طبية. ولكن من الواضح أن الأطباء الحاليين ليسوا جميعاً صالحين لأداء هذه المهمة؛ إذ أن لشخصية القائم بأمر التربية الجنسية هنا - كما هو الحال فى سائر فروع التربية الجنسية - أعظم الأثر. والشخصية وحدها لا تكفى وإنما يستطيع صاحب الشخصية الصالحة أن يجنى أطيب الثمر إذا حصل على الإعداد المناسب. لذا يجب على المشتغلين بالطب ممن يرغبون فى الاضطلاع بالتربية الجنسية أن يهتموا بدراسة الجانب النفسى للمسألة الجنسية مثلما يهتمون بالجانب الفسيولوجى منها سواء بسواء. كما ينبغى أن يكونوا على بصيرة بالناحية الاجتماعية أيضاً، فالعلاقات الجنسية والزواج ليست مجرد مسائل طبية فحسب، وإنما لها جوانبها الأخرى أيضاً، من سياسة واقتصادية، ومن عاطفة وصداقة إلى اتصال فكرى وتبادل للاحترام. فهل نطلب شططاً ونحن نعبر عن رجائنا فى أن تنال أمثال هذه الأمور وما يتعلق بها قسطاً من العناية مستقبلا فى أثناء مرحلة إعداد الأطباء؟ قد يبدو هذا الرجاء ضغثاً إلى إبالة، ونحن لا ننكر أن مناهج كليات الطب مزدحمة كما هو الحال فى مناهج إعداد المعلمين. ولكن أليس بعض الدراسة لهذه المسائل أكثر أهمية ونفعاً للطبيب العادى ولمرضاه من دراسة التفصيلات الدقيقة لتشريح جسم الإنسان التى لن يفيد أغلبهم منها فائدة كبيرة؟ إن الرد على هذا السؤال يغلب أن يكون بالإيجاب بل وبغير تحفظ على الإطلاق، مما يدعو إلى الرجاء فى أن يقوم المشتغلون بالطب بتقليد المدرسين الذين يأخذون برامج خاصة تفيدهم وتهيئهم للاضطلاع بمهمة التربية الجنسية.

الحكيمات والزائرات الصحيات

وتستطيع الحكيمات والزائرات الصحيات أن يقمن بأعمال جليلة الشأن فى محيط التربية الجنسية، وذلك بتنوير الآباء والأمهات ممن يتصلون بهن عن السلوك الجنسى والاتجاهات

الجنسية السليمة. فعندما تكون الأم حاملا يستطعن إخبار الأطفال الآخرين بحقيقة الأمر. وبعد الولادة يمكنهن توجيه النصائح المفيدة للأم فيما يتعلق بتدريب الوليد على العادات الصحية فى عملية الإخراج، وفيما يتعلق «بالعادات السرية» عند الأطفال. وكلما كان إعدادهن أوفى أكمل كلما كانت فائدتهن أتم وأعظم بالنسبة لمن يتصلن بهن من الأمهات. ولاشك فى أن ما لديهن من أساس طيب من المعلومات ييسر السبيل أمامهن إلى توسيع مدى معرفتهن بتلك الأمور. ومن الواجب أن يدخل هذا الميدان فى المستقبل فى نطاق إعدادهن. أما فى الوقت الراهن فإن أفضل وسيلة لتلافى النقص هى البرامج الخاصة التى تعطى لهن بقصد تحديد معلوماتهن.

أطباء المدارس وطبيباتها

يختلف مركز طبيب المدرسة وطبيبتها عن مركز أمثالهما ممن يعملون فى الميدان العام الخارجى. فهما بحكم مركزهما فى المدرسة يستطيعان أن يتعاونا تعاوناً مستمراً مع المدرس والوالد. فإذا ما أدرك الطبيب أن التلاميذ قد وقعوا على بعض المعلومات الجنسية، فإنه يستطيع عند قيامه بفحص التلاميذ طبياً أن يناقشهم مناقشة ذات فائدة تشتمل موضوعات القذف المنوى والاستمناء. كما أن الطبيب أو الطبيبة يستطيعان تزويد البنات بالمعلومات الصحية الخاصة بالحيض بطريقة تترك فيهن أثراً طيباً. إلا أن المهمة تقتضى أكثر من مجرد معلومات طبية أو مهارات فى فن التمريض؛ فلابد من فهم مشاعر المراهقين، ولابد من قدرة على تبسيط الشرح لهم، كما أنه لابد من اللباقة لا فى انتقاء الأسئلة المناسبة فحسب، بل فى إدراك الوقت الذى يحسن فيه الامتناع عن توجيه أى نوع من الأسئلة على الإطلاق. الحق أن الوقت قد حان لتوسيع المعنى الذى نفهمه عن مهمة الأطباء والطبيبات وبالتالى لتوسيع مدى ما يحصلون عليه من إعداد.

زعماء التربية الجنسية

تُرى من ذا الذى ينبغى أن يتولى إعداد هذه الفئات المختلفة من المربين؟ وأية كفاءة تلك التى تستطيع أن تضطلع بتلك المهمة؟ لابد لمن يتولى ذلك أن يكون علامّة جمع إلى مؤهلاته وكفايته النادرة سمَاك التخصص فى علوم الأحياء والنفس والتربية والاجتماع والطب، وأن يكون قد جمع فأوعى..! غير أننا إذا طرحنا الخيال جانباً وتنازلنا عن المثل العليا التى يصعب الوصول إليها لوجدنا أنه قد ثبت بالخبرة العملية أن فريقاً من ثلاثة أفراد – يختلف تخصصهم وخبراتهم بعضهم عن بعض – يمكن أن يضطلع بمهمة إعداد أغلب الجماعات لهذه الغاية وبشكل مناسب معقول. فإذا كان الفريق يتكون من فرد متخصص فى علم الأحياء وله خبرة بالتدريس وأعمال النوادى، ومن طبيب ذى إلمام بعلم النفس وبعض الدراية

بالأساليب التربوية، ومن إخصائى اجتماعى لـه معرفة بعلم الأحياء وعلم النفس وذى فهم واضح وإدراك صحيح لمشكلات الناس فى مختلف الأعمار، فإن مثل هذا الفريق يستطيع أن يحقق فائدة كبرى.

وإذا كان اجتماع أفراد مثل هذا الفريق أمر نادر فى كثير من الأحيان، فإن الضرورة الملحة تدعونا إلى الاستزادة من أمثاله بالتكوين والإعداد.

ويجب هنا أن نؤكد تأكيداً قاطعاً أنه ينبغى ألا يجول بالخاطر على الإطلاق أى تفكير فى إعداد هؤلاء القادة إعداداً سطحياً؛ بل ينبغى أن يكونوا من ذوى المؤهلات العلمية العالية والأفق الواسع، قادرين على فهم مشكلات الناس فهماً مشرباً بروح العطف، كما يلزم أن يكونوا من ذوى العقول الفذة الراجحة والوجدان المتزن السليم. قد تكون هذه المطالب صعبة المنال، ولكن التربية الجنسية مهمة رفيعة خليقة ببذل كل جهد مستطاع فى سبيل القيام بها. ومهما تكن تلك المطالب عزيزة المنال إلا أن العثور عليها لا يعد أمراً مستحيلا. فهناك بين طبقات المعلمين والأطباء والإخصائيين الاجتماعيين كثيرون من الرجال والنساء لا نعرفهم وتتوفر فيهم الشخصيات والخصائص والخبرات التى ننشدها. فالخطوة التى ينبغى لنا أن نخطوها سريعاً وبغير إبطاء هى البحث عنهم والعثور عليهم وتهيئتهم للاضطلاع بهذه المهمة الخطيرة الشأن.